الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـامعة محمد بوضيـاف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1/: 1535092073

رقم التسجيل ط2/: 1635091922

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب جزائري

بعنوان:

تجليات التراث في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح

إعداد الطالبتين:

- ***شليحي منيرة***
- **أميرة حميدة**

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. بوديسة بولنوار	أ. م. أ	جامعة المسيلة	رئيسا
د. شبلي خالد	أ. م. أ	جامعة المسيلة	ممتحنا
د. بوضياف أحمد أمين	أ. م. أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية: 1439 – 1440 هـ / 2020-2021م

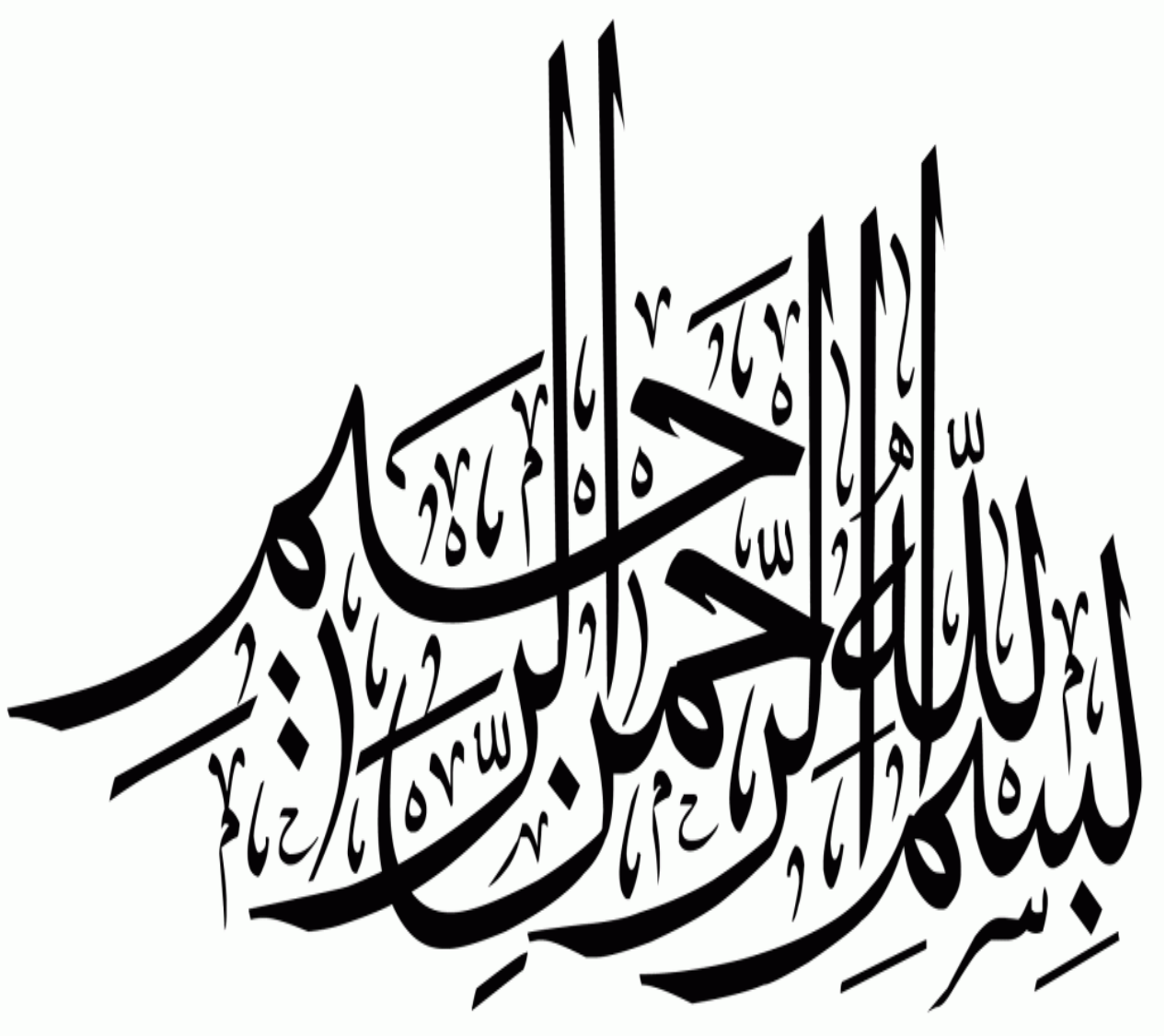
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكللت بإنجاز هذا البحث، أحمد الله على نعمه على التي من بها علي بأن أعاني على إتمامه فهو العلي القدير، كما لا يسعني إلا أن أخص بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور " بوضياف أمين " لما قدمه لني من جهد ونصح ومعرفة طيلة إنجاز هذا البحث فما كان لمذكرتي أن تخرج إلى النور لولا التوجيه السديد والرعاية الفائقة التي شملني بها، فشكرا لكرمه وجزاه الله خير جزاء .

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة المسيلة وكل من ساهم من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل .

إهداء

للعديد منا كلمات وعبارات في خواطرنا كلمات مبعثرة تحمل معاني قيمة كثيرة إتجاه أشخاص لهم أهمية كبيرة في حياتنا

إلا أن البعض لا يبوح بها ومن منا لم يستطع تعبير عن ذلك إلا أن البعض الآخر يجتهد و يثابر في حياته من أجل أن ينجح فيستغل فرصة نجاحه لي يكتب بعض. او القليل من الكم الكبير لكلمات التي يريد أن يوصلها .إلى أشخاص يعتبرهم الأهم في حياتهم أو سببا في نجاحه أو أنهم أكثر ناس يستحقون نجاحاته أو يريد منهم رؤية سعادتهم وفرحتهم .ليقدم كلمات شكر وتقدير كلمات تحمل مشاعر الحب مشاعر قيمة لا تظاها ..وانا واحد من هؤلاء الأشخاص ...استغليت نجاحي ليكون وسيلة لي اقدم بها امتناني ل أشخاص هم الأغلى والأهم في حياتي..

إلى أستاذي المشرف بوضيف أمين

إلى نور الذي اظاء دربي في ظلام دامس...إلى قوتي .إلى من اعتبرتها سلاحي في وسط محنتي إلى من أنارت سلم ودرجات تسلقي نحوى نجاحاتي الى من اعتبرتها شموخي وعزتي..كنتي لي القوة والحنان في آن واحد اليك أمي ....يا ياملكة كوني.

إلى أبي الغالي الذي علمني معاني كثيرة في حياتي ..إلى الذي ليس له ولن يكون له مثيل في حياتي

إلى الذين اذا غبت عنهم افتقدوك ..إذا دعو لأنفسهم لا ينسوك ..هم كالنجوم إذا ظلت سفينتك ارشدوك .إلى يد اليمنى إلى الظلع الثابت الذي لا يميل ... إلى من تورد الحياة لي بهم إخوتي .. أكرم رؤوف منى.

إلى فرحتي وظحكتي اليك يا صغيرتي أميرتي يامن.كنت سبب ابتسامتي . إليك يا من كانت كلماتك لي رغم صغر سنك إلا أنها كانت مفيدة لي في أيامي محبطة .. اليك فرحة نجاحي ... أميرة.

إليك .يا غاليتي صديقتي .عزيزتي.

.إليك يامن كنتيي مرشدتي .منصحتي في كل أمور حياتي .اليك. يامن تحمل كلماتك حلولي واختياراتي ...ناريمان

فهرس الموضوعات

الموضوعات	
شكر وعرفان	
فهرس الموضوعات	
مقدمة	أ-ب
مدخل: سمات الرواية الجزائرية الجديدة	
سمات الرواية الجزائرية الجديدة	4
1- صيغ السرد الجديدة	5
أ-السرد بواسطة المفارقات الزمنية	5
• الاسترجاع	5
• الاستباق	6
• الاستشراق	6
2-اللغة الروائية الجزائرية الجديدة	7
3- استحضار التراث في الرواية	10
ملخص رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح	11
الفصل الأول: معمار العام لرواية الكافية والوشّام	
المبحث الأول الزمن في رواية الكافية والوشّام	15
المطلب الأول: الاسترجاعات	15
أ- الاسترجاعات الخارجية	15
ب- استرجاعات طويلة المدى	15
ج- الاسترجاعات الداخلية	17
المطلب الثاني: الاستباقات	19

الاستباق التمهيدي	19
الاستباق الإعلاني	20
المبحث الثاني: المكان في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح	21
المطلب الأول: وظائف المكان في الرواية	21
1-الوظائف الخارجية	21
أ-الوظيفة المعرفية	21
ب-الوظيفة النقدية	21
2-الوظائف الداخلية	22
أ-التحفيز الحكائي	22
ب-المساعدة على نشئ علاقة بين الشخصيات الروائية	23
المطلب الثاني: دلالة المكان في رواية الكافية والوشّام	24
المبحث الثالث: الشخصية في رواية الكافية والوشّام	27
المطلب الأول: وصف الشخصية في الرواية	27
1-الوصف الخارجي	27
أ-فتيحة الوشّام	27
ب-أحمد معاليش	29
ج-حميدة الرفاف	30
د-مريم السموري	30
المطلب الثاني وظائف الشخصية في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح:	31
أ-وظيفة الانتقام	31
ب-وظيفة الاستغلال	32
ج-وظيفة الاغواء	33
الفصل الثاني: تجليات التراث في رواية الكافية والوشّام	
المطلب الأول: فترة إلا ما بعد الاستقلال	36
المطلب الثاني: التراث الشعبي في رواية الكافية	39

أولا الأمثال الشعبية	39
ثانيا: الأمثال الاجتماعية	39
خاتمة	41
قائمة المصادر والمراجع	43

مقدمة

مقدمة:

بات من المعلوم اليوم أن الرواية من أكثر الأجناس الأدبية انفتاحا على التجريب المتواصل الذي لا يستقر أبدا ولا يهدأ، فقد شهدت من التحول إلى التطور ما جعلها في بحث لا ينتهي عن جديد الأساليب وحديث الأشكال. والرواية الجزائرية أيضا كغيرها من الروايات الأخرى التي استطاعت أن تحقق ثراءا فنيا غنيا وتتجاوز العالمية بالعديد من الروايات.

لقد استثمرت الرواية الجزائرية التراث بشكل كبير إذ وسمت الخطاب الروائي بسمات مختلفة نجد في هذا المجال مجموعة من المبدعين الذين اهتموا بالتراث قلبا وقالبا كالروائي محمد مفلاح الذي تأثر بالروايات التي تضمن التراث، لذا حاول في رواية الكافية والوشّام معالجة قضايا تركز بالدرجة الأولى على الكيان الجزائري وما يحمله من هموم ووقائع.

ابداعات الروائي، سوف نحاول من خلال هذا البحث دراسة كيفية استثمار التراث الشعبي وتاريخه واستلهامه وتوظيفه في الرواية الكافية والوشام لمحمد مفلح وهذا ما يجعلنا نطرح من الأسئلة أهمها:

- ما هو التراث
- كيف ظهر روائي هذا التراث
- كيفية السرد من حيث بناء الشخصية والزمان والمكان والتطور الأحداث

هي أسئلة يمكن الإجابة عنها من خلال هذا البحث الذي اقتضت منهجيته: مقدمة، وفصول، وخاتمة، ابتداءا من (المقدمة) عن أهمية الموضوع ومنهجه، وايضاح خطة البحث وانتهاء (بخاتمة) لأهم النتائج والتوصيات، لكن قبل أن يأخذ هذا البحث المستوى وجدنا أن منطقية البحث العلمي نظريا تستدي (مدخلا) نظريا حول أهمية التراث لغة واصطلاحا، وإلى تجلياته في الرواية الكافية والوشام.

تناول الفصل الأول العام للرواية معمار العام لرواية الكافية والوشام، قسم إلى مبحثين المبحث الأول الزمن في رواية الكافية والوشام لمحمد مفلاح.

أما الفصل الثاني فتضمن مبحثين المبحث الأول بعنوان وقد اعتمد البحث في طرح إشكالاته وتقديم مضامينه هي ما يعرف بالمنهج التكاملي، حيث حللنا توظيف مفلاح للتراث من عدة جوانب منها التاريخي فكان المنهج تاريخيا، والأدبي فكان نفسيا تحليليا.

وفيما يخص المصادر الروائية التي استندنا إليها في هذه الدراسة فهي تخص تحديا أعمال محمد مفلاح.

وككل دراسة فقد اعترضتنا صعوبات أهمها:

- صعوبة الحصول على المراجع التي تخدم الموضوع بصفة مباشرة باستثناء ما وجدناه لدى كل من عبد الحفيظ ابن جلولي وما قدمته سهام بولسحار من دراسة بعنوان رؤية التاريخ في رواية شعلة المايدة.

- خداع العنوانين وكثيرا ما أظن أني وجدت منالي فإذا بي أمام كتاب بعيد عن ما أبحث عنه ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى ودعم الأستاذ المشرف بوضياف أمين تم هذا العمل وله جزيل الشكر.

مدخل:

سمات الرواية الجزائرية الجديدة

- صيغ السرد الجديدة
- اللغة الروائية الجزائرية الجديدة
- استحضار التراث في الرواية

سمات الرواية الجزائرية الجديدة:

إن الرواية الجديدة هي كتابه غرضها تغيير نظام الكتابة السردية باعتبارها نظاما بنيويا كذلك أنها صيغة جديدة لكتابة العالم والانسان من هنا استطاع استطاعت الرواية المعاصرة في الجزائر أن تراهن على التغير أيما تعلق بثورة على لغة الخطاب الشيء الذي انعكس على الأسلوب والتقنية بنية الخطاب.

صحيح ان الرواية الجزائرية حديثه العهد الظهوري والمكتوب منها باللغة العربية أكثر حدثت إلى أننا نستطيع القول ان منظورها الاول اقتحمت الساحة الأدبية بشكل قوي فاذا ما استثنينا المحاولات الأولى البسيطة والمتمثلة في الساحة الأدبية بشكل قوي فاذا ما استثنينا المحاولات الأولى البسيطة والمتمثلة في (غادة أم القرى)، (الطالب المنكوب)، (الحريق)، (ريح الجنوب) تبقى تلك الرواية الناطقة التي أعلنت البداية الحقيقية للرواية الجزائرية.

ومن ناقل التصريح بأدب الجزائري الحديث يمر بمرحلة ازدهار للرواية مما جعله الممارسة الأدبية الاكثر حضورا في السياق الثقافي في الجزائر وسطاعه رغم حداثتها ان تحقق تراكما نصيا لا يستهان به بلغت به مرحله وتنوع وثراء من خلال التحولات المتمثلة والأسلوبية والقواعد الفنية وتجريد عده تقنيات لإثراء البنيات الروائية لتسجيل القواعد الفنية وتجريد عده تقنيات لإثراء البنيات الروائية لتسجيل حضورا مميزا وتديرا على خريطة السور الروائي العربي المعاصر.

وعليه لابد من الإشارة ان حديثنا عن منظومه سردية متميزة لرواية العربية الجزائرية لتأسس على معطيات أهمها انتعاش الكتابة الروائية بالجزائر واتساع دائرة كتابتها، والتقدم الملحوظ في المحصول الروائي منذ ظهورها حتى الآن حيث بدا كل ذلك مع جيل الثمانينات حيث حرضوا على التجديد في الخطاب الروائي والأشكال أكثر على أدوات مختلفة أهمها اللغة التي جعلها بعض الكتاب فضاء ابداع يحاول خلالها رسم معالم، تجارب روائية، كما في هذه الفترة ظهر استثمار التراث في الأعمال الروائية.

حيث حاول كتاب الرواية في الثمانينات ان ينهل ما أن ينهي ما وصلت اليه الرواية العربية والعالمية وخاصه على المستوى التقني والفني وفي طريقه تناول المواضيع وطرحها للقارئ الذي وجد أمامه نصوصا تنتقد الواقع وتعرض الاخفاقات الكبيرة التي يتعرض فيها المجتمع نتيجة السياسات الفاشلة وبالرغم من الاجواء التي عاشها الروائيين في ظل عشريه مظلمه الا ان كتاب الرواية كتابها مواكبه الجديد ورصد وقائع والاحداث من منظور روائي تعاطي مع منتجات مع مستجدات مقال الطاهر وطاهر السعة والدهاليز وبالرغم من الروائيين يعكسان واقع مرير للجزائر إلا أن الخطاب الروائي واكب معظم تحولات التي شهدها المجتمع الجزائري.

حيث نقل الأوضاع برؤيه فنية كثيرا ما كانت واعيه ومتميزة لقد حاول الروائي الجزائري أن يثبت في ظل ازمه التسعينات ما يسمى بأدب المحنة.

ويبدو أن الكتابة في الروائية الجزائرية شهدت ابداعا وتطورا كثيرا من عدة جوانب تخص العمل الروائي وبنيته حيث ظهر ذلك في عدة أعمال روائية وصيغ جديده والتي تمثلت في السرد الذي تحققه التطورات الجديدة وظهرت له صيغ سرد جديدة.

1- صيغ السرد الجديدة

عرف السرد الحديث انتهاج الروائيين لجملة من صيغ حديثة ومختلفة تماما عن الرواية التقليدية.

أ- السرد بواسطة المفارقات الزمنية:

التي تعني ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة وذلك لأن نظام القصة ما تشير إليه الكاتبة مراد ما يمكن الاستدلال عليه من هذه القرنية غير المباشرة.

- **الاسترجاع:**

يسمى الاستذكار من خلاله يتم التلاعب بالزمن وتحرره من خطيئته وفيه يترك الراوي مستوى القص الأولية يعود الى بعض الاحداث الماضية ويرويها لاحقة لحدوثها.

- **الاستباق:**

هو الطرف الآخر من تقنيات المفارقة الزمنية ونقصد به تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة في امتداد بنيه السرد الروائي على عكس من التوقع الذي يكون قد يستحق وقد لا يتحقق.

- **الاستشراق:**

هو عمليه سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا قبل حدوثه حيث يتابع السارد تسلسل الأحداث ثم يتوقف ليقدم نظرة مستقبلية تردد منها أحداث لم يبلغها السارد تسلسل الأحداث لم يتوقف ليقدم نظرة مستقبليه ترد منها أحداث لم يبلغها السرد بعد ولعل أهم ما يميز الاستشراق هو أن المعلومة التي يقدمها لا تتصف باليقينية فيما لم يتم قيام الحدث بالفعل فليس هناك من يؤكد حصوله وهذا ما يجعل من هذا من الاستشراق شكلا من أشكال الانتظار.

المدة: وتعني بها التفاوت النسبي الذي يصعب قياسه بين زمن القصة وزمن السرد، وتعرف المدة على أنها الزمنية التي يرتد فيها السرد إلى الماضي البعيد أو قريب واتساعها هو المساحة التي يشغلها ذلك الارتداد على صفحات الرواية.

تسريع السرد: تقنية الخلاصة تعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزالها في أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل.

الحذف: يعرف الحذف بأنه التجاوز في بعض مراحل من قصه دون الإشارة بشيء إليها.

إبطاء السرد: ويقوم على المشهد، الوقفة.

كما أنه يوجد السرد وبواسطة المنظور، (الرؤية السردية) حيث تنهض على ركيزتين هما:

– توفر الرواية على العناصر الفنية من أحداث شخصيات زمان ومكان وتتوفر على طريقة القصص لنتج تلك العناصر.

– والعديد من العمليات السردية المختلفة التي ظهرت على ملامح الرواية الجزائرية لتغير كل قديم فيها.

– كما أن هذا التغيير الذي طرأ على الرواية الجزائرية طرا على السرد واللغة السردية التي اعتمدها الروائيين في نقل العمل الفني يسمو ويواكب الحداثة الروائية، حيث ظهر على الأعمال الأدبية من حيث لغتها واللغة الجزائرية في الرواية تطورت إلى ما ارتقت اليه الاعمال الأدبية (الروائية).

2- اللغة الروائية الجزائرية الجديدة

إن الرواية الجزائرية رواية ذات سمات ومميزات متعددة فهي تختلف عن باقي الروايات العربية اختلافا منذ بدء النشأة والتطور فنحن فحتى ظهور ظروف نشأتها كانت مختلفة والمراحل التي مرت بها جعلتها تأتي متأخرة نوعا ما عن نظيرتها في المشرق العربي، سواء بسبب الاستعمار الفرنسي الذي حاول بكل الطرق مما أدى لضعف تلك الأقلام، أو بسبب انعدام وسائل التشجيع على هذا الابداع، حيث لا يجب أن يفوتنا المقام إلى لغة الرواية الجزائرية التي جاءت فرنسه (فرنسيه اللغة) لأدباء جزائريين، ثم جاءت ممزوجة باللغة العربية والفرنسية ثم إلى دمج اللغة العامية باللغة العربية الفصحى في الروايات العربية خاصة في تلك الحوارات التي أدت انتفاضة الجزائريون لطرد الكيان والثقافة والرغبة في الرقي بالغة إلى أعلى المراتب. فتفاوت المبدعون بأقلامهم للتعبير عن كل المراحل التي مرت بها الجزائر تفاوتا في الاتقان وتوظيف أصدق الألفاظ أيضا، وإذا تحدثنا عن لغة الكتابة في الجزائر لا تخلو الساحة من ذكر أسماء المؤلفين بأقلام فرنسية نتيجة لظروف حاولت تشتيت خطوات هذه الاقلام أو على الأقل تغيير مسارها. فجاءت بلغة مختلفة لجيل هدمت لغته وهويته العربية ولكن بعد هذه الكتابات باللغة الفرنسية والعربية وأجيال مزجت لغة عربية فصحى إلى بعض المقاطع والجمل باللغة الفرنسية إلى اللغة العامية سواء تماشيا مع الشخصيات والطبقات الثقافية أو رغبة في خلق تعبير فني جديد

عن الأحاسيس والافكار حتى وإن كان كذلك اللجوء إلى اللغة العامية أو اللهجة الخاصة وإن كانت شيئا له أثر على الرواية فهو يضفي عليها نوعا من التغيير عما الفناه

كما أنه سهل الايصال معنى أو أفكار أو أحاسيس المؤلف، كما أن أكثر ما يشد القواعد هو اللغة الروائية وأسلوب المؤلف المتبع في تقديم الأحداث وبالرغم من تداخل اللغات الفرنسية، والعربية الفصحى، والعامية إلا أن الرواية الجزائرية ولغتها ارتقت إلى مستوى أكثر رقي واستطاعت مواكبة الروايات العربية.

كما أن الروائي الجزائري واجه العديد من التحولات والتطورات اللغوية المختلفة التي استعملها في سرد الاحداث بطريقة لغوية جديدة.

وبطبيعة الحال فإن التحولات الكبيرة التي عرفها الحين الروائي قد أوجبت على الكاتب الجزائري تشكيل نظرة جديدة في تعامله مع لغة نصية لأنه أصبح يدرك أن لكل مرحلة زمنية تميزها وسماتها الخاصة والتي لا يمكن لها إلا أن تمثل عصرها حيث يجد القارئ وتنوع الساحة الأدبية بتجارب روائية مميزة عبارة عن نظرة جديدة ومختلفة في الكتابة الأمر الذي جعل الرواية الجزائرية تحقق تراكما نوعيا أفضى إلى انفراد كل روائي بنظرته وطريقته وأسلوبه الخاص في تجسيد مقتضيات التجديد الروائي.

كما يراهن الجزائر على التجريب اللغوي كورقة رابحة يمكن ان تمنحه النموذج الاعلى والاثار على الخالد ليكون بمثابه أفق سردي واسع يعد بمستويات وأبنية لغوية متباينة ومتنوعة، رمزية تراثية، شعرية تحقق لنصب لنص أدبية وخصوصيته اللغوية، فقد تمكن موضوع اللغة من مزاحمة باقي المضامين ومضامين تقليدية بعدما أضحى المضمون الواقع التاريخي جزءا بسيطا من معادلة كبيرة قوامها اللغة فشهد التحولات في صيغة السرد والوصف ومختلف عناصر البناء الروائي ذاته أصبح يضيق ذرعا بشكل القديم مراهنا على اللغة المخبرية كمرحلة متقدمة في ممارسة الروائية حيث نصح اللغة بمثابة هوية المبدع كمرحله متقدمة في ممارسة الروائية حيث نصح اللغة بمثابة هوية المبدع وهوية العمل الروائي، إذ أن النص الروائي هو لغة في أولى درجاته وبذلك تكون اللغات في روائية هي

أهم ما ينهض عليه بنائها الفني فشخصيه تستعمل اللغة، أو توصف بها أو تتصف بها مثلها المكان أو الزمان فما كان ليكون لولا اللغة ولما كانت الرواية جنسا أدبيا لذلك كان فعل ارتقاء اللغة السردية الجزائرية الى مستوى عال من الأدبية والمعرفة التي تتصل بعمق الابعاد الدرامية والتجارب والطرق الحكائين المتحددة من خلال لغتها وهو ما يؤكده أن الكتابة الروائية تعمل فني جميل لا يمكن ممارسته إلا في حدود اللغة في الجمال الأدبي يتحقق باللغة.

وبما أن الكاتب مطالب بأن تكون له قدرات خارقة وغير عادية تمكنه من إعادة تشكيل اللغة ليعلوا على عن المستهلك منها تجاوز التركيب والتعبير فوجب عليه أن يقف عند حدود التراكيب والاساليب المتكررة حيث استطاع ثلة من روائي الجزائر إضافة الكثير من الكتابة الروائية من خلال نصوص تحتفل باللغة تجريبيا وممارسة وإبداعا من أمثال رشيد بوجدرة وسيني الأعرج وإبراهيم سعدي فغيلهم من الروائيين الذين أرادوا وأخذوا على عاتقهم التأسيس لمشروع سردي عربي حديث يستمر يستثمر الكتابة الإبداعية ليثبت امكانات اللغة العربية والفنية ماذا قدرتها على التكثيف والأحياء ومدامها وكبتها لروح العصر وتطوراته ضمن خطاب روائي متجدد يعتصر التجربة الكونية والإبداعية ويحمل افاقا جديده تكون مستوى تطلع القارئ كما سعى النصر الروائي الجزائري أن يكون نصا مليئا بالاحتمالات والتقديرات من خلال تحول لغته السردية الإخبارية إلى لغة فنية شعريه تستهدف الاستمالة عن طريق التخيل والتصوير والتغريب فقد نجحت روايات بالتخلص من مخلفات الواقعية، الانعكاسية، بمفهومها التقليدي المبتدل لتقديم عمل سيتداخل فيه الواقع بالخيال، والذاتي بالتاريخي والرمز الأسطوري فيخلف عالما شعريا ينقل جو الأسطورة ولحظة الحلم إلى بؤرة الحدث السردي عليه عوالم مغيري مغريه تظهر المتلقي وتمنحه لذة قرائيه وتفجر في مكانه عملا روائيا راقية.

إذ صارت اللغة في الرواية الجزائرية هدفا وغاية لما لها من شحنات دلالية تجعل الكلمات مشعه فتؤدي واحيها الايقاع داخل المسرودات غمانا لأحداث تلك الايرادات الموسيقية في أذن المتلقي وتحدث نغما مختلفا وعمل روائيا راقيا.

كما لا ننسى أن لسرد جانب تراثي إذ أن الأدب الجزائري رغم حداثة نشأتها أظهرت نقلة نوعية مفتاحها على الموروث السردي العربي والعالمي باعتبارها منجما زخرا بالعطاء حيث استمد منه الكتاب العديد من الأشكال التعبيرية المتنوعة التي ظهرت في العديد من الاعمال الروائية الجزائرية حيث غرست بذور التراث من خلال في خلال النفس الدالة عبر التفاعل على مستوى الشكل والمضمون، بغيت التخلص من جمود السرد التقليدي كما اسهمت بمرونة الرواية الجزائرية التي بدأت بوادرها تتشكل لتثبيت اصالتها ضمن خريطة السرد الروائي الحديث.

ولذلك استدعى الكاتب الجزائري أو بالأحرى الروائي استحضار التراث رغم صعوبة توظيفه.

3- استحضار التراث في الرواية

إن توظيف التراث في الرواية الجزائرية لم يأتي صدفة ولم يكن منعزلا عن التطور الذي شهدته الرواية العربية عموما على المستوى الفني والمضمون في مرحلة ما بعد هزيمة 1970 التي أحدثت خلل في المجتمع العربي من حفظ الروائيين على الغوص في تراثهم الفني يصور الشجاعة، والقوة والحكمة إلا أن الرواية شهيدة أشكال فردية حديثة تعبر عن الحاضر وتأصل للنص الروائي الجديد لذلك يعتبر التراث وتوظيفها واعيا بهدف الاثبات الذات من خلال التحامها بمولودها الأصيل والغني كما يرد الكاتب والأديب رشيد فيلالي، أن الأدب الجزائري عرف ولا يزال من معين التراث في كل نصوص وقد تفاوت بطبيعة الحال هذا الاعتراف كما وكيف ومن أديب إلى آخر ولكن في المحصلة الكل رأى في التراث المصدر الهامه وإبداع ينبغي استغلاله، حيث حاول الكاتب الجزائري استغلال، وتوظيف هذا التراث وإعادة تشكيله في لغة جديدة وعصرية لها جماليتها ومستوياتها وفنياهتا

حيث كانت تتجلى الأعمال الروائية الجزائرية ترجمة وتناسا ومراته تعكس التراث بكل مكوناته المحلية والأمازيغية والعربية والإسلامية وحتى الأجنبية التركية والعثمانية والفرنسية والإسبانية التي تركت بصمة في لغتنا ووجداننا العام، التراث جزء من الهوية وثابت من ثوابت في لغتنا ووجداننا العام تكوين شخصية الفرد الجزائرية كما أنه يؤسس المتن الحكائي الجزائري كمصدر إلهام يفرض حضوره والكاتب الذكي هو الذي يستطيع استثمار هذا المكون لخلق إبداع جديد لا يكل النص ولا النص يشوهه.

كما أن الرواية الجزائرية مرت بالعديد من المطبات كالاستعمار الفرنسي وغيرها إلا أن الرواية الجزائرية لم تتغنى عن التراث الوطني في سرد أحداثها، بالرغم من وجود اختلاف من حيث الاستيعاب والرؤية والتعبير والكيف بفضل وعيهم استطاعوا أن يقهروا خوفهم واكتسبوا جرعة مكنتهم من تصوير واقع مجتمعهم وما يعيشهم من ظلم وقهر، كما استخدموا في بعض الأحيان العناصر التراثية كوسيلة اثبات الهوية والانتماء يخفون من وراءه وجهات نظرهم ويبدون من خلالها مواقفهم دفاعا عن ما يعترض أفراد المجتمع من ظروف قاسية.

ملخص الرواية:

رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح:

الكافية هو اسم مؤسسة صناعية والوشّام وهي زوجة مدير المؤسسة وكل أحداث الرواية دارت بين وهران والجزائر غير أن جل أحداثها في أكنف الأحياء الشعبية لوهران.

تأتي هذه الرواية الكافية والوشّام لتعبر عن فترة أخرى من تاريخ الجزائر وهي في ما بعد الخامس من أكتوبر 1988 حيث وجد الانسان نعته ويواجه متاهات جديدة، خاليا من كل دروع الفكر النظري بأشكاله المتعددة نسيم قد اتخذ الروائي من بطلته فتيحة الوشّام متنفسا يعبر به عن كل ما يحول بخاطره وبطريقة غير مباشرة مستعينا بشخصية فتيحة، حيث أن فتيحة زوجة مدير مؤسسة الكافية، كما أن الرواية تتحدث عن الأوضاع الأمنية الاقتصادية والاجتماعية الضعيفة، وكشف الرداءة السياسية والإدارية، وفضح المواقف السياسية والمالية الباحثة عن المصلحة الشخصية على المصلحة العامة.

فتحرك ضمن المنظور شخصيات النص على ايقاع المصالح وليس المبادئ وليس القناعات الفكرية كما وجدنا أن الخطاب الروائي لفضح مشاهد الغليان الاجتماعي والاضطراب السياسي في الجزائر مع التوقف عن الانتقادات السياسية وتأثيرها الاقتصادية على المجتمع كما مشاكل العمل النقابي، والمشاكل والصراعات الإيديولوجية حيث نلخص الرواية كالتالي: الوشّام الجميلة والفاتنة زوجة مدير مؤسسة الكافية وصاحب الفيلا أحمد معاليش الذي يكبرها سنا والذي كان ذو نفوذ وأموال وهو شخص لم ترغب به إلا أنها كانت رغبه أمها في ذلك إذا أخبرتها أنها ستعرف الكثير من الأموال، فقد كانت الوشّام فقيره ليس لها مكان تبقى فيه، فبالرغم من معاملة زوجها السيئة وخيانته لها مع الخادمة إلا أنها لم تجد مفر غير ذلك إلا انها تضيق ذرعا بذلك وتصبح غير قادرة على تحمل معاملته السيئة أكثر، تخطط لقتله بعد ذلك وتضع خطه محكمه لتطبيق جريمة قتله إلا أنها تحتاج لمساعدة شخص تثق فيه فلم تجد غير حميدة الرفاف الذي كان فقيرا معدما كان من الشباب الذين يعانون من الأوضاع السيئة للجزائر بعد الاستقلال والتي كانت عبارة عن أزمات اقتصادية أدت إلى إحالة الكثير من الشباب للبطالة والفقر، إلا أن حميدة كان له رأي آخر بخصوص قبوله عرض الوشّام بقتل رئيس الكافية، فقد كان هدفه أسمى من قتل أحمد معاليش، فبعد أن ساعدته الوشّام في الحصول على عمل في الكافية وأصبح له منزل وانتشلته الوشّام من أكناف البطالة وزوجته بالخادمة التي كانت على علاقة مع زوجها وذلك لتخفي الفضيحة وبالرغم من تفطن حميدة لذلك يوم زفافه إلا أنه لم يتأثر بالموضوع، لأنه كان هدفه أسمى من ذلك، وبعد رفض حميدة لقتله أحمد، يقوم بدراسة كل شيء يتعلق بأحمد معاليش بعد توظيفه عنده فقد كان أحمد معاليش يرفض كل عامل يمارس السياسة والاضراب فهو شخص يخشى السياسيين حيث يضع حميدة هدف القضاء على مدير الكافية ووضعه صوبه، والبحث عن نقاط ضعفه وأسراره وجمع الوثائق التي تدين أحمد، وتضامن مع شخصيات سياسية أخرى كانت ضده، فكان لكل شخص هدفه في هذا العالم الاقتصادي

والسياسي وضع البلاد. كما كان هدف حميدة أيضا جعل الوشّام تندم على رفضها له سابقا حين طلبها للزواج لكن رفضته بسبب فقره.

كما يريد أن يجعلها تندم لأنها أرادته أن يصبح أداة لجريمتها فتأخذ هي الورث والأموال وهو يلام على قتله لأحمد.

فأصبح حميدة صديقا لبعض السياسيين كمحمد الراشدي وأصبح يتقن العمل وأصبح من الأشخاص المرموقين، وذو هيبة في أوساط العمل ونجح في ذلك كما أنه استغل الأوضاع العامة والمزرية للبلاد وكذلك الانتقال العام من الاشتراكية للرأسمالية وهذا ما يهدد أحمد معاليش ومؤسسة الكافية، فلم يرغب أحمد معاليش بالتغيرات الجديده والتيسرات التي تتبعها الدولة الوطنية المتحررة كما انه لم يتقبل فكره المؤامرة السياسية التي طرأت على البلاد مع وجود التحرر والنمو الفكر التحرري كما أن صداقته مع السياسيين الكبار ذو الثقة الكبيرة مثل محمد الراشدي الراشدي لم تشفع له بل أصبح الجميع قطع علاقته معه وأصبح حميدة وخاصه محمد الراشدي الذي اصبح عدوا له بتحالفي مع حميدة الرفاف كما أن محمد الراشدي لم يتوقف عند هذا فقط بل أنه السيدة نظره لفتيحة الوشّام وطلب الزواج منها بعد ان اتهمها محمد معليش بخيانتها له مع حميدة فقام بطلاقها لتعود إلى حي العتيق الذي كانت تسكن فيه لتصبح نادمه لوثوقها بحميدة الا انها وجدت نفسها في تحدي مع نفسها لتقف على قدميها بعد ان اصبحت خارج الفيلا وحيده الا انها لجات الى صديقتها وابن خالتها وغيرهم للبحث عن عمل كما أنها لم تقبل بطلب محمد رشيد بالزواج منها فقد اعتبرته انتقاما منه لصديقه أحمد معاليش كما أن حميدة كان يظن نفسه أنه سيصبح مديرا الكافية ويحقق هدفه وانتقامه من إلا أنه وجد نفسه أيضا مهددا بالطرد من مؤسسة من طرف النقابيين المنتخبين من طرف عمال الكافية بعد أن أصبح مدير الكافية لمده ثلاث أيام فقط.

الفصل الأول:

معمار العام لرواية الكافية والوشّام

المبحث الأول: الزمن في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح

المطلب الأول: الاسترجاعات

المطلب الثاني: الاستباقات

المبحث الثاني: تجلي المكان في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح

المطلب الأول: وظائف المكان في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح

المطلب الثاني: دلالة المكان في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح

المبحث الثالث: الشخصية في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح

المطلب الأول: وصف الشخصية في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح

المطلب الثاني: وظائف الشخصية في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح

المبحث الأول الزمن في رواية الكافية والوشّام

المطلب الأول: الاسترجاعات

أ-**الاسترجاعات الخارجية:** تحتل الاسترجاعات الخارجية مساحة كبيرة في رواية الكافية والوشّام وتتميز بالمدى البعيد والمتوسط في كثير الأحيان وبالمدى القريب قليلا حيث يسترجع السرد مرحلة الطفولة والمراهقة والشباب للكثير من الشخصيات.

كما سنركز على الاسترجاعات الخارجية والداخلية التي كان لها وظيفة دلالية بنائية لأن رواية الكافية والوشّام تعتمد أساسا على المفارقة وهو ما سيجعلنا ندخل في دهاليز عميقة يصعب علينا الخروج منها كما سنعتمد على الاسترجاعات الخارجية التي تخص الشخصيات الرئيسية والتي كان لها دور فعال ومهم في بنية السرد.

ب-استرجاعات طويلة المدى: والممتدة إلى مرحله الطفولة باعتبارها مرحلة من أهم المراحل الزمنية في تكوين الشخصية الإنسانية وتشكيل رؤيتها وفكرها ومشاعرها[1] ومنها: يقول السارد خلقت فتيحة للحياة الصاخبة... في هذه السنة التي ولدت فيها خرج الرجال والنساء والاطفال إلى الشوارع والساحات العمومية وهم يرددون بحماس تحيا الجزائر لم تختلف رقية عن الموعد التاريخي وبلهفة لفت الصبية فتيحة بالقماش الابيض ووضعتها بين ذراعيها وخرجت للمشاركة في المسيرات الكبيرة... كانت سعيدة كما روت ذلك مرارا وتكرارا لابنتها التي كانت تلح عليها ظروف ميلادها وذكريات طفولتها في سنة 1962.

كان أبوها سليمان السموري خماسا عند سي الميلود... فجأة توفي سليمان السموري وهو يعيش في شبه عزلة في غرفته الضيقة التي تفوح منها رائحة الفقر، بكى حميدة بحرقة... وخلال رحلته الحزينة استعرض كل أطوار حياته التي لونها اليتم وهمومه العميقة، لم يبلغ عمره 14 سنة لما توفي والده في حادث مرور... رجته أمه أن يواصل دراسته

[1] مها حسين قصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص 197.

رفض، قرر أن يقضي وقته في حقول البرتقال واصطياد العصافير التي كان يبيعها في ساحة السوق السوداء.

تبين لنا هذا الاسترجاعات الماضي البعيد ثلاث شخصيات كان لها دور مهم في الرواية، فتيحة حميدة مريم، وتلخص لنا حياتهم الطفولية ونلاحظ اشتراك حميدة ومريم في البؤس والفقر والحرمان، اختلاف فتيحة الوشّام عنها، وقد انعكس هذا الماضي الطفولي على حاضر الشخصيات، حيث استطعنا من خلاله تفسير سلوك كل شخصيات انطلاقا من هذه الأخير فالطفلة فتيحة موسومة بالحب، والاهتمام من طرف والديها أما حميدة ومريم طفولتها بائسة يلخصها اليتم، والاحتياج والعمل المبكر وقد ارتكز السارد على العامل الملفت والحزن في استرجاع طفولتها على أي عامل يواصل السارد استرجاعاته الخارجية مع حميدة وفتيحة ومريم ويعود بنا إلى مرحلة مراهقتهم وشبابهم حتى يسد لنا ثغرات وفجوات في شخصية هؤلاء كان لها الأثر في حاضرهم[1]، يقول السارد عن فتيحة: تقاعست فتيحة في دراستها ثم توقفت عنها بعد السنة الرابعة اعدادي... لم يكن سي مهدي راضيا عن ابنته التي أصبحت منذ مراهقتها مهتمة بزينتها واظهار مفاتنها... وكاد يخنق فتيحة وهو يأمرها بعدم الخروج[2]

تقدم لنا هذه الاسترجاعات ماضي فتيحة الوشّام العاطفي والشخصي منذ المراهقة الى لحظة زواجها مع أحمد معاليش وهي استرجاعات مفردة غير معقدة لأنها تسلك خطا زمنيا واحدا لا تتشعب حتى وإن تعددت الأحداث.

وقد استعمل هذه الاسترجاعات لغرضين:

بنائي في إطار تشكيل الزمن لأنه لجأ إلى توضيح ما في فتيحة

[1] ينظر محمد عبد الحسين هويدي، دلالة البنية الزمنية في رواية فرانكشتاين في بغداد، 447 هجري، 527 هجري، رواية نقدية

[2] مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، العدد الثالث، المجلد الثامن، 2015، ص 174.

دلالي لأن فتيحة الوشّام امرأة فاتنة مثيرة لا يستطيع أي رجل مقاومتها وأنها مرغوبة في كل مراحل عمرها، ولا تسمع صوت الناس والمجتمع إنما تسمع لصوت قلبها أو مصلحتها الشخصية.

لقد صنع هذا الاسترجاع الخارجي القائم على المقارنة تجانسا بين زمن الحاضر والزمن السرد الماضي (المسترجع) ومن الشخصيات الرئيسية التي أخذت نصيبا واسعا من الاسترجاعات الخارجية أحمد معاليش، امتدت سمعتها إلى 30 سنة، لكن ما يميز هذه الارشادات الخارجية أنها تسترجع المسار المهني والضريبي لهذه الشخصية بشكل واسع.

وقد منح هذه الاسترجاع الخارجي العديد من الشخصيات الحكائية الماضية فرصة الحضور والاستمرار في السرد الحاضر أمثال: سليمان السموري وحميدة اسماعيل الرفاف، وهكذا أعطت تلك الاسترجاعات الحضور والأهمية في بناء بعض الشخصيات مكثفة وكثيرة ساهمت بتشكل ذلك وقد تم تقديم هذه التقنيات بتداخل أزمنة فيها، ولكثافة زمن سردي الذي لعب دورا كبيرا في الاعتماد على هذه التقنية من طرف الروائي لكي لا يتجاوز ضيف الزمن الروائي[1]

ج- الاسترجاعات الداخلية: لا يشغل الاسترجاع الداخلي حيزا كبيرا ضمن الخطاب مقارنة بالاسترجاع الخارجي، لأن الحدث الرئيسي للرواية بسيط وقصير، لو أردنا اختزاله لوجدناه ينحصر بتخطيط فتيحة لقتل زوجها مع حميدة الرفاف الذي خطط هو الاخر بمعية محمد الراشدي للإطاحة بأحمد معاليش فطرد من المؤسسة وطلق فتيحة وتزوج مريم الخادمة...

تبدأ الاسترجاعات الداخلية في رواية الكافية والوشّام (في الفصل الثاني للرواية) فتأطر لنا الحداثة الرئيس الذي اشتعل منه فتيل الصراع العلني بين فتيحة وحميدة، يقول السارد: رفض الاستجابة لموعدها وانتظر رد فعلها بلا ريب، احتياطا لكل شيء، اختلف لغيابه

[1] مراد عبد الرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص 64

مبررا بسيطا، كان في اجتماع نقابي مهم وخرج منه في ساعة متأخرة من الليل.. هي لا تفكر إلا في عمليه قتل زوجها وفي استغلاله لارتكاب الجريمة البشعة إنه يتظاهر لها بالطاعة لكنه لن يقتل زوجها[1].

يقدم لنا ذلك الاسترجاع الداخلي دلالة ساهمت في تشكيل الزمن بطريقة خفية، وهكذا يقدم لنا الاسترجاع الداخلي زمنين ودلالتين مرتبطتان ببعضهما البعض ارتباطا وثيقا.

إنما نلاحظه في الاسترجاع الداخلي الأول هو تحول الزمن الروائي الأخير إلى زمن سياسي حيث يقدم لنا حقبة زمنية في الجزائر ارتبطت بالديمقراطية والتعددية الجزيلة، وإن لم يظهر لنا بشكل مباشر.

تظهر هذه الاسترجاعات وصول حميدة إلى الكافية كما تكشف عن وجهة التعسف الذي أصبح يمارسه على العمال لقد كشف لنا هذا الاسترجاع عن المسؤولين الجزائريين الذين مارسوا سلطتهم ضد العامل البسيط في تلك الفترة كما يظهر لنا وعي واهتمام العمال في فتره الانتخابات والتعددية الحزبية الواقع السياسي للبلاد، دخول الجزائر في مجال الخصخصة واقتصاد السوق.

لقد مست الاسترجاعات الداخلية حياة حميدة المهنية والعائلية للدلالة على أن تغير المهنة والعائلية للدلالة على أن تغير تغيرا جذريا، في الفصل السادس حول أحمد معاليش وسفريته إلى العاصمة لتسوية وضعيته في المؤسسة. يقول السارد: أيام ثلاثة قضاها أحمد معاليش بين المؤسسات والادارات في شوارع العاصمة حيث كان قلقا على مستقبله وسمعته التي بطختها زوجته مريم لا يمكن أن تكذب عليه هاتفت له وأخبرته عن زيارة فتيحة المتكررة لبيت حميدة.[2]

تكشف لنا هذه الاسترجاعات عن حالة أحمد معاليش النصية البيئية وما يلاحظ عن هذه الاسترجاعات الداخلية أن مدتها قصيرة في كثير من الأحيان حيث لا تتعدى الاسبوع

[1] محمد مفلاح، رواية الكافيه والوشّام، ص 32.

[2] المصدر السابق ص 159

والأيام والساعات ولعل السبب في ذلك يعود إلى الايقاع السريع للأحداث داخل الرواية حيث لا يوجد مجال للاسترجاع الداخلي بعيد المدى، كما أن أحداث زمن القصة كلها لا يتعدى أشهر الصيف.

إنها الاسترجاعات ارتبطت دلاليا بالجشع، والتآمر، والتحالف والاستغلال والعنف والظلم... وهي دلالات مؤطرة ومشكلة للمجتمع الذي يعيش في الاطار الزماني فهذه الدلالات السلبية عكست العلاقات البشرية.

في الأخير نلخص إلى الاسترجاعات الخارجية هي التي تغلبت على الاسترجاعات الداخلية في رواية "الكافية والوشّام" لاهتمام السرد بالزمن الماضي الذي ساهم بشكل كبير في بناء الحاضر.

المطلب الثاني: الاستباقات

أ- **الاستباق التمهيدي:** لعل أبرز الاستباقات التمهيدية التي جاءت منذ بداية السرد هو طلاق فتيحة الوشّام ورجوعها إلى حي القرابة الفقير، وتسلق حميدة للوصول الى أعلى المراتب.

وفي هذا الصدد يقول السارد: ومن يدري فقد يطلقها فتخرج من الفيلا منبوذة سيدفعها الطلاق نحو هوة سحيقة.[1] تظهر لنا هذه الاستباقيات التمهيدية التي تتحقق في مسار السرد خوف فتيحة من طلاقها، الذي سيجر لها المتاعب رغم أنها لا تحب زوجها أحمد معاليش.

ونجد استباقا تمهيديا آخرا يتعلق بحميدة في الرواية ويتحقق وقوعه في مسار السرد.

يقول السارد: وعده محمد الراشدي بمنصب مهم فلينتظر، إنه مستعد اليوم لكل مغامرة بعد ما أصبح يحسن التفوه بالكلمات المألوفة في الاجتماعات والتقارير واللوائح، كما تعلم من احتكاكه بمحمد الراشدي وجماعته.[2]

[1] محمد مفلاح، رواية الكافية والوشّام، ص 10.

[2] المصدر نفسه، ص 246.

ويظهر هذا الاستباق إيديولوجية محمد مفلاح الرافضة لهذه الفئة من الناس في الادارات والمؤسسات التي لا تملك خبرة ولا شهادة وليس لها زاد إلا بعض العبارات التي يتعلمونها من الاجتماعات، ومن بعض الاشخاص الذين مارسوا العمل النقابي والسياسي أمثال الراشدي.

أما النوع الثاني من الاستباقات التي تضمنته رواية الكافية والوشّام منها:

الاستباق الإعلاني: ومن أمثلة الاستباق الاعلاني داخل الرواية طلاق مريم السموري الذي تحقق لاحقا في السرد في مدة زمنية قصيرة. يقول السارد: إنه ينتظر الفرصة التي سيطلق فيها مريم السموري[1] تهديد حميدة لأحمد، يقول السارد: " إذ لم يتوقف عن التحريض سأدخله السجن مازالت بين يدي ملفات خطيرة"[2].

مسانده فتيحة لمريم، تقول فتيحة: أمكثتني في الفيلا... سنقف إلى جانبك حتى يطرد من العمل ومن الشقة التي ستصبح لك إن شاء الله.

تقرير مريم لمصيرها ومصير جنينها، يقول السارد: سيواجه مولودها الحياة بعيدا عن والده... ستحميه بكل قواها... ستتسلح بشجاعة بلا شك، ستقدر على مواجهة هذه المحنة[3]

يعكس لنا هذا الاستباق مدى تعلق مريم بجنينها، والروح القوية والإيجابية التي أصبحت تسكنها بعدما كانت ضعيفة.

[1] محمد مفلاح، رواية الكافية والوشّام، ص 32.

[2] المصدر نفسه، ص 29.

[3] المصدر نفسه، ص 360.

المبحث الثاني: المكان في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح

المطلب الأول: وظائف المكان في الرواية

1- الوظائف الخارجية:

أ- **الوظيفة المعرفية:** وتتمثل كما سبق في اعطاء شكل البيئة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي التي تحيل عليها الأماكن بأشكالها المتنوعة، على الصعيد الاجتماعي لعب المكان دور بارزا في تقديم بعض الظواهر الاجتماعية التي تمتاز بها مدينة غليزان انطلاقا من العلاقة المتينة بين الأدب والمجتمع، فالمكان في رواية الكافية اللباس العام للمرأة في هذه المدينة والمتمثل في الحايك[1] هو لباس مرتبط بفئة معينة بالنساء المحافظات الماكثات في البيوت أمثال مريم سموري، أما النساء المتمردات على عادات المجتمع أمثال فتيحة الوشّام فقد اختارت لنفسها اللباس الفاضح والمثير والمتبرج، وقد قدم لنا المكان (المدينة) عادة اجتماعية تنتشر في المجتمع الجزائري وخاصة في المدن الداخلية وهي حبهم للكسكسي كنوع من المؤونة التي تستعمل في فصل الشتاء، أو في الأعراس أو الوعدات يقول السارد: أصبحت الأرملة خروفة تطرق بيوت الحي بحث عن أي عمل منزلي تقوم به مقابل بعض الدنانير، اشتهرت بحبك الكسكسي المطلوب خاصة في موسم الصيف الذي تكثر فيه الولائم، والأعراس، وعدات، الأولياء الصالحين،[2] وهي طقوس اجتماعية منتشرة بكثرة في مناطق الغرب الجزائري.

ب- **الوظيفة النقدية:** من مواقف الروائي النقدية التي تجسدت بواسطة المكان صورة الجزائر العاصمة الجديدة التي أصبحت قلقة وصاخبة ومضطربة، وانتشرت ملابس هيئات جديدة فيها بعدما كانت بالأمس مدينة جميلة وهادئة تحتضن كل زائريها، وقد استهجن مفلاح هذا الوجه الجديد لهذه المدينة التي يحبها، واستهجن تبرير الناس لهذه الصورة بتقلبات الزمن وغدره، لقد تعجب مفلاح من الشكل الجديد لهذه المدينة، التي تحمل ماضي

[1] ينظر محمد مفلاح، رواية الكافية والوشّام، ص 55 ، 59.

[2] المصدر نفسه، ص 43.

جميل في وجدانه فما حل بالبلاد فتفقد فجأة وزنها وتنتزع حلة الوقار وتدخل في مواجهة مع نفسها... في الوقت الذي يحتاج فيه المواطن إلى الأمن واللقمة والبحث عن حلول للأزمة الاقتصادية[1] كما انتقد المسرح الذي لا يقدم نصوص جديدة مختلفة عن الخطابات السياسية، يقول السارد: فكر أن يقصد المسرح الوطني ولكنه ابتسم ساخرا من نفسه إنه لا يحب مسرحا لا يختلف انتاجه الفني عن الخطابات السياسية[2] في إشارة منه لضرورة فصل الفن عن السياسة، إن كل الأعمال الروائية ذات قيمة أدبية لابد أن تتضمن وظيفة نقدية ومفلاح من الروائيين الجزائريين الذين اهتموا كثيرا بهذه الوظيفة فكيفية أن معظم نصوصه هي بسط ونقد للواقع.

2- **الوظائف الداخلية:**

أ- **التحفيز الحكائي:** ونقصد به انبعاث الأحداث الروائية بفعل اختراق الشخصية للمكان فتداعي الأحداث الماضية التي وقعت في المكان نفسه[3] ومن أمثلة ذلك استرجاع أحمد معاليش لذكرياته الجميلة في مكان الفندق الذي اعتبره معلما تاريخيا، يقول السارد: وخرج من الغرفة وغادر الفندق الذي تربطه به ذكريات جميلة، لقد تعرف على هذا المعلم التاريخي على مسؤولين كبار في الدولة والحزب والنقابة والمؤسسات الوطنية، كل شيء من هذا الفندق الجميل يذكره بالماضي السعيد فماذا حل بالبلاد؟[4].

وقد حفز المكان أحمد معاليش على استرجاع أحداث ماضية كانت قد وقعت معه في مكان الكافية، فلما دخل هو رأى مقداد السويدي تذكر حادثة ابعاده عن النقابة في مؤسسة الكافية، يقول السارد: توقف أمام الجناح الإداري... كان مقداد السويدي واقفا... ابتسم... أحمد معاليش قائلا في نفسه بأن مقداد ما زال كعادته مصرا على النضال... لقد ساهم في

[1] محمد مفلاح، رواية الكافية والوشّام، ص 86.
[2] المصدر نفسه، ص 87.
[3] محمد مفلاح، رواية الكافية والوشّام، ص 218.
[4] المصدر نفسه، ص286.

ابعاده عن النقابة[1]، في هذه الأجواء المتوترة لم تمنع اللجنة من زياره المؤسسة... ابتسم مخاطبا نفسه كنت مغرورا يا أحمد... لم ينسى ذلك اليوم الذي قال فيه لمقداد سأسحقك كالبعوضة[2].

ب-**المساعدة على نشئ علاقة بين الشخصيات الروائية:** لعل أهم العلاقات التي يمكن رصدها جماعة بين شخصيتين روائيتين متعارضتين في مكان مغلق من الرواية هي علاقة مقداد بأحمد معاليش بطريقة عفوية وسلسة، كما لم يكن بينهما عداء من قبل وقد استطاع هذا المكان أن يؤلف بينهما، حيث طلب معاليش من السويدي أن يعلمه لعبة الدومينو في إشارة الى عزمه على الذهاب إلى المقهى بشكل مستمر، كما ساهمت فيلا النوارة إلى في إعادة تشكيل العلاقة بين أحمد معاليش ومريم سموري، فببقائها في هذا المكان بعد طلاق فتيحة تولدت عاطفة الحب بينهما، وبدأ يفكر في الزواج وانجاب الأولاد كما ساهمت متوسطة محمد خميستي في بناء العلاقة بين فتيحة وكمال الوزاني، يقول السارد: ثم فكرت في كمال الوزاني رأت فيه الرجل المناسب أيضا أيام دراستها بمتوسطة محمد خميستي، كان يكتب لها الرسائل المملوءة بأشعار الغزل... كتب لها ثلاث رسائل مطوية تفوح بعطر الحب... وقد اتصلت به والدتها رقيه وحذرته من الاستمرار في الكتابة لبنتها المتزوجة[3].

وقد انتقد مفلاح جملة من سلوكات المسيرين وجهل الشعب بالواقع في عربة القطار المتوجهة إلى مدينة وهران، يقول السارد: بجانبه تحرك رجل وراح يروي قصته مع مديره الذي طرده من العمل لأنه رفض أن يرافق زوجتة زوجة المدير إلى الحمام ابتسم الركاب وعلقوا على الحادثة واعتبروا ما يجري في المؤسسات العمومية عبثا خطيرا لا يمكن توقيفه إلا بغلق هذه المؤسسات التي أصبحت مكبا خاصا لبعض الأشخاص... قابلتهم وانتقدت

[1] المصدر نفسه، ص69.

[2] المصدر نفسه، ص109.

[3] المصدر نفسه، ص 17

الحكومة والأحزاب والشعب والشبان والنساء وبعض الشخصيات السياسية ومدحه التقدم والديمقراطية، ثم ذم التعددية وسب العنصرية ولم يروا في مواقفهم المتناقضة أي حرج[1] كما قدم لنا عن طريق السرد الخارجي رأيه في احتياجات الشعب الحقيقية يقول السارد: الشعب في رأيه الخاص في حاجة إلى الشغل والسكن والنقل والتغطية الصحية...، هل يمكن للديمقراطية الناشئة أن تتكفل بكل المطالب المشروعة[2] فحسب رأي مفلاح أن السكن والنقل والشغل هي حقوق المواطنين المشروعة وهي الأولى بالطرح والاهتمام وليس الديمقراطية

المطلب الثاني: دلالة المكان في رواية الكافية والوشّام

يحمل لنا المكان في رواية الكافية والوشّام مجموعة من الدلالات السلبية ذات بعد معرفي، ورمزي، وتاريخي، وايديولوجي... توزعت حسب نوعية المكان وبنائه فنسجت لنا في الأخير رؤية مفلاح الخاصة بهذا المكون السردي، حيث انطلق لنا السارد من المدينة هذا المكان الواسع الجغرافي الذي تتفرغ منه أماكن تنوعت بين اتساع وضيق، ماديا ومعنويا. وقد حملت لنا هذه المدينة منذ البداية دلالات إيديولوجية المبهمة لعل أهميتها انتشار الاحزاب السياسية التي تنتظر بحماس موعد الانتخابات، وهو موعد صنع حالة من الترقيب والتوتر في هذه المدينة لأن الجميع قد قدم البرامج السياسية والاجتماعية لانقاذ المدينة من الغليان السياسي والاجتماعي الذي أوقعها في أزمة حقيقية، وقد انتشرت هذه البرامج المتنوعة في كل أماكنها في الساحات والمقاهي والأسواق... حاملة حسب رأيها الحل الأنسب لأزمتها السياسية والاجتماعية، الشيء الذي جعل هذا المكان يسبح في تيارات ايديولوجيا مختلفة ومبهمة، حيث أن مفلاح قد اكتفى بتقديم اختلاف وتعدد الأحزاب ولم يتطرق الى ايديولوجيتها ما عدا إيديولوجية حزب عباس التي حدد نوعها على أنها اسلامية لكنه لم يتطرق إلى مبادئها وبرامجها، وقد حملت لنا المدينة منذ البداية بالإضافة إلى الغليان السياسي دلالات معرفية سلبية لعل أهمها الفقر والبطالة اللذان سيطرا على بعض شبابها

[1] المصدر نفسه، ص 92 – 93.

[2] المصدر نفسه، ص 109.

فلا مساكن لهم ولا عمل ولا أسره يكسبون قوتهم عن طريق أمهاتهم كمنظفات أو الوقوف أمام عربات بيع السجائر مثل حميدة الرفاف ونجيب السموري...

وقد تنوع مكان المدينة على ثلاث طبقات اجتماعية متفاوتة هي الطبقة الفقيرة والمتوسطة والثرية، وقد صنع ذلك التفاوت بينهما صراعاغ ايديولوجيا لعل أبرزه القائم بين الطبقة الهشة، الفقيرة التي تسكن الاحياء الشعبية والتي تحمل دلالات الخير عند البعض ودلالات الشر عند البعض الاخر، وتقطن في البيوت الطينية والبلاستيكية، والطبقة الثرية التي تسكن الأحياء الراقية وتقطن في الفيلات الفاخرة، أما الطبقة المتوسطة فتسكن العمارات وتحمل ايديولوجيات مختلفة لكنها لا تتصارع مع أي طبقة، وقد خلق ذلك التفاوت الطبقي حقدا طبقيا بين الطبقتين، صنع مناخا ملوثا بالانتقام والرغبة في تحطيم الآخرين ويعد الصراع الذي جمع بين حميدة وأحمد أبرز الصراعات داخل الرواية والذي نتج عنه حقد وحسد حميدة لثراء وسلطة أحمد معاليش.

كل في المدينة يحمل دلالات الصخب والعنف اللفظي والمؤامرات والتوتر والقلق والانهيار في سلم القيم الإنسانية والاجتماعية والسياسية، إنها مكان ينام كل ليلته على الخوف من الأخر ويستيقظ على التوتر والاضطراب، والاستقلال والمجهول المخيف عند كل الطبقات والأعمار، إنها مكان منتج الفقر والبطالة لدى أكبر شريحة من المجتمع وهي مكان قامع للحريات، وضيق الأفق، سكانها يعرفون بعضهم البعض ويشتغلون على كل كبيرة وصغيرة فيها، لذلك كانت فتيحة تخطط إلى الهروب إلى العاصمة أو وهران حتى تعيش الحرية التي تشدها بعد قتل زوجها.

إن مكان التآمر في هذا المكان شغل حيزا كبيرا حيث تآمرت فتيحة مع حميدة ضد أحمد معاليش، الذي يتآمر مع حميدة ضد مقداد السويدي، ويتآمر حميدة ضد فتيحة مع محمد الراشدي الذي يتآمر هو الآخر ضد حميدة مع المسؤولين، وأمثلة التآمر كثيرة، وأهم ما يميز هذا المكان من دلالات الاستقرار الذي شهد عقب أحداث أكتوبر 1988 المشهد

السياسي والاقتصادي، حيث عجز الكثير من الناس في فهم ذلك الابهام في الواقع الجديد وهو ما شكل نوع من الفوضى داخل هذا المكان وأصبح الجميع يغرد خارج السرد بانتمائهم الحزبية المختلفة وكل واحد يزعم أنه قد فهم الواقع والازمة وعلى الآخرين اتباعه.

لذلك كثرة الصراعات بين الناس وانتشرت ليصل صداها إلى البيوت، حيث لم يصادف بيتا واحد خال منها، فبيت سي المهدي يحمل بين جدرانه صراعا ايديولوجيا عنيفا بين الأب سي المهدي وابنته المتمردة، وبيت حميدة يحمل صراعا أيديولوجيا أيضا بين الزوج وزوجته متمثلا في تمسك حميدة بعادات مجتمعه وهي رفظ الارتباط بالفتاة الفاقدة لعذريتها مهما كان السبب، وبين أحمد معاليش الذي يعج بالصراع بينه وبين فتيحة بسبب ماضيها الذي يراه ملوثا حاضرها الموسوم بالخيانة مع أعدائه ضده، لقد ولد هذا الصراع دلالة أخرى لهذا المكان وهو العنف الذي نجده في بيوت فتيحة مع أزواجها الثلاث، لعل أبرز أشكال العنف عبيس العنوني هذا الرجل السادي الذي يتلذذ بتعذيب الآخرين وعنف المهندس سعيد الهواري الذي منعها بالإكراه من ممارسه حق أمومتها وعنف أحمد معاليش اللفظي الذي كان يصبه عليها في حالة سكره وصحوه، فينعتها أمام الناس والاصدقاء بأبشع الصفات وسوء الاخلاق وهو ممارسة معنوية في كثير من الأحيان يعكسه الممارسة التي كان حميدة يمارسها ضد مريم السموري، حيث كان يعتدي عليها بالضرب وهي امرأة حامل دون رحمة ولا شفقه.

ومن أبرز الأماكن ثراء بالدلالة الإيديولوجية نجد مؤسسة الكافية وعربة قطار الجزائر العاصمة المتجهة نحو وهران، ففي مؤسسة الكافية يشتد الصراع فيها بين أنصار القطاع العام وأنصار القطاع الخاص الذي ينتهي بفوز أنصار القطاع العام في مؤسسة الكافية التي استغلها مفلاح كما كان ذو دلالة رمزية للوطن، فالكل يتآمر عليه والكل يريد تحطيمه، لكنه يصمد مثل الكافية أمام الأعداء من أبنائه، وفي عربة القطار تتنوع الايديولوجيات الناس بين المؤيد ومعارض لها، وبين مؤيد لسياسة الراحل بومدين في نهجه الاقتصادي والسياسي، ولا سبيل لحل الأزمة ما دام بومدين قد رحل، ويكشف لنا مكان الرواية عن

دلالة تاريخية لشوارع المدينة حيث يرسم لنا فرحة عيد الاستقلال وانتشار البهجة والسعادة في أزقتها لدى كل الشعب الجزائري لذلك بقيت تلك الشوارع التي عاشت ذلك الحدث السعيد راسخة في ذهن رقية والدة فتيحة التي ظلت تردده على مسامعها.

ويختم لنا مفلاح هذا المكان بدلالة رمزية تلخص رؤيته الخاصة به الحل المناسب لانقاذه من هذا الوحل، فقد اتخذ من أسراب الطيور البيضاء المحلقة في السماء ديكور لهذه الدلالة عكست لنا إيديولوجية الإنسانية الداعية إلى السلم والتسامح، وهي قيم لابد أن تتحلى بها كل الأماكن حتى نعيش في أمان.

لقد كان رفض مفلاح ظاهرة العنف الذي خيم على ذلك المكان والتوتر والاستقرار والتآمر والاضطراب والخوف والقلق فكان يكتب وفي قلبه حسرة على ما آل اليه الجزائر على يد أبنائها، لقد اختار مفلاح في روايته أن يختمها بمكان مفتوح وعال مخترع من أبطاله.

المبحث الثالث: الشخصية في رواية الكافية والوشّام

المطلب الأول: وصف الشخصية في الرواية

1- الوصف الخارجي:

سنعتمد في هذا المطلب على الشخصيات الرئيسية والثانوية المهمة في الرواية.

أ- **فتيحة الوشّام:** يقدم لنا السرد الخارجي في شخصية فتيحة بوصفها من خلال أربع زوايا:

العمر، المستوى الدراسي، المظهر، الشكل الخارجي

يقول السارد: عمرها 25 سنة[1] تقاعست فتيحة عن دراساتها ثم توقفت عنها وبعد السنة الرابعة اعدادي، قررت أن تلتحق بمعهد التكوين المهني لتتعلم الحلاقة[2] يضعون السارد أمام زاويتين من شخصيات فتيحة، كان لها الأثر في تكوين شخصيتها داخل السرد،

[1] محمد مفلاح، رواية الكافية والوشّام، ص 14

[2] المصدر نفسه، ص 97

هما شبابها ومستواها الدراسي المحدود اللذان جعلا المتلقي يتوقع تهورها وتسرعها في معالجة مشاكلها.

ثم ينتقل بين السرد من سن فتيحة ومستواها الدراسي إلى الوصف المورفولوجي لها، وهو وصف كان له هو الآخر الأثر في تشكيل شخصيتها داخل السرد، وهو وصف كان له هو الآخر الأثر في تشكيل تلك الشخصية لذلك تحول ذلك الوصف من تكتل صورة فتيحة الخارجية يجد تفسيرات لتصرفاتها، فقد كانت وظلت فاتنة تحب الاهتمام بمظهرها من زينة وعطر... يقول السارد: رغم هموم الحياة والتجارب القاسية، ما زالت فاتنة ومرغوبة ويقول أيضا، لم يكن سي المهدي الوشّام راضيا على ابنته التي أصبحت منذ مراهقتها مهتمة بزينتها وإظهار مفاتنها المثيرة ويقول أيضا: جرت نحو طاولة الزينة ووضعت شيئا من العطور[1] ويقول أيضا شرر الغضب يتطاير من عينيها الكحليتين، لقد اعتنى السارد بمظهر فتيحة حيث وصفها مرتين، مرة في بداية السرد عند أول لقاء لفتيحة بحميدة في فيلا النوارة ومرة في آخر السرد مع حميدة أيضا في شقته بحي العمارات وفي كلا اللقاءين كان لفتيحة طلب عند حميدة وذلك لأن السارد أراد يقول أن مدركة لجمالها وفتنتها اللذان وظفتهما عند الحاجة فهو أسلوب من أساليب وسلاح تستعمله وقت الظروف، لم تكن فتيحة ناجحة ومتفوقه في دراستها، لكنها كانت ذكية في تعاملاتها مع الرجال لأنها تدرك بفضل تعدد زيجاتها أن لا أحد يقاوم فتنتها وخاصة بفستانها الاخضر التي ارتدته مرتين مثل ما ذكرت مع حميدة حتى تتضمن استسلامه لأنوثتها فتطلب منه ما تريد.[2]

يقول السارد: كانت رائعة في فستانها الأخضر الذي حرك فيه ذكريات الماضي، لم ينسى أبدا فتيحة الوشّام تلك الفاتنة الرهيبة، التي كانت بلباسها الأخضر تثير في شبان الحي العواطف الملتهبة والغرائز المحمومة، ما زالت شهية كما كانت، تتمكن أن يتحرر من

[1] ينظر ابراهيم محمود خليل، الفاظ ودلالاتها عند العرب مجلة الدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 3، الجامعة الأردنية، عمان، 2016، ص 449.

[2] عند أحمد المختار اللغة واللون الطبعة 2، عالم الكتب، القاهرة، 2016، ص210.

مخاوفه ويقول لها بصراحة أنت فاتنة، قرأت في عينيه الحادتين كلمات الاعتراف والاعجاب والعشق لها كانت الدهشة كبيرة وهو يرى فتيحة منتصبة في لباسها الأخضر الجميل الذي أبرز مفاتنها وبدت فيه أصغر من سنها ذلك لباس عصر في الماضي القريب قلوب شبان كحبات الليمون، لماذا ارتديته اليوم؟ ربما لإثاره ذكريات الماضي وحنينه.

لقد ارتدت فتيحة الثوب نفسه حتى تثير في نفس حميدة ذكريات الحي الشعبي، عساها تلين قلبه، فتجدد في نفسه تلك المشاعر الملتهبة التي سكنت قلبه في الماضي.

إن اختيار السارد اللون الاخضر في هذين الموقفين كان مقصودا لأنه يدرك ما اللون الأخضر من أثر النفس حيث يرتبط اللون الأخضر بالخضب والشباب وهما مبعث فرحات وبهجة في النفس.[1]

فقد اختارته فتيحة في لقائها مع حميدة سعيا منها لتجديد علاقتها معه فيرضخ ويلبي لها ما تريد، أن ثوب فتيحة الأخضر الذي يكاد يعصر قلوب الشباب كالليمونة، وقد خرج من وظيفته الجمالية إلى وظائف مختلفة منها وظيفة الاغراء، ووظيفة السيطرة على قلب حميدة ووظيفة التفسير... لكن هذا الثوب رغم فتنته وجماله على فتيحة إلا أنه لم يكسر ولم يثني من عزم حميدة على الانتقام في المرة الثانية.

يواصل السارد في وصفه فتيحة مورفولوجيا بشيء من التفصيل فيقول: "جبينها عريض ورأسها صغير شعرها طويل مصبوغ بلون الحناء، عيناها سوداوين"[2]

تبدو فتيحة جميلة بعد تركيب جزئيات صورتها، لكنها صورة نمطية للمرأة في رواية محمد مفلاح، شعر طويل غزير، عيون سوداء بشرة بيضاء رقيقه، فكثيرا ما يجعل لون شعري بطلاته أحمر قانيا كزينب خالة عباس البري.

ب-**أحمد معاليش:** لم يركز السارد كثيرا على الوصف الخارجي لأحمد معاليش بل اكتفى بشيء من القليل من ذلك:

[1] ابراهيم محمود خليل، مصدر سابق، ص 445.

[2] عمر أحمد مختار، اللغة واللون، الطبعة 2، عالم الكتب، القاهرة، 2010، ص 240

العمر، المستوى الدراسي، المظهر، الشكل الخارجي

يقول السارد أنه ثري وقد تجاوز عمر الخمسين... رغم مستوى التعليم المتواضع إلا أنه وصل دراسته حتى تحصل على شهاده ليسانس في الحقوق، سوى أحمد معاليش ربطة عنقه وانتظر...[1] يظهر من خلالها هذا التقديم أن أحمد معاليش رجل كهل عصامي التعليم، بدين يرتدي الملابس الكلاسيكية التي تتماشى وربطة العنق في إشاره من الكاتب إلى توافق بين منصبه ومظهره، فهو يرتدي البدلات بربطة العنق لأن وظيفته تحتم عليه ذلك.

ج- حميدة الرفاف: حضى حميدة الرفاف بمقامته المديدة... تغيرت ملامحه كثيرا أصبح نحيلا، وطأطأ رأسه ذو الشعر المجعد مد حميدة سبابته اليمنى على شاربه الغزير[2] يبدو حميدة كما يصفه السارد الخارجي طويل القامة، نحيلا، غليظ الشفاه، مجعد الشعر، وقد تطابقت صفة النحافة مع صفة وضعه الاجتماعي المزرى، عكس أحمد معاليش الذي كان وجهه مكتنزا.

بعد هذا العرض الخارجي لحميدة ينتقل السارد لمستواه الدراسي الذي لم يتجاوز الثانية اعدادي، وهذا المستوى هو الذي كان سببا مباشر في بطالته في البداية لأن المؤسسات أصبحت بحاجة لأصحاب الشهادات الجامعية، يقول السارد: بعد موت والده تخلى عن الدراسة ولم يستطيع أن ينهي السنة الثانية اعدادي.[3]

د- مريم السموري: إن أهم ما يميز البناء الداخلي لمريم السموري هو الصبر والانكسار والاستسلام، ويرجع ذلك الى تعاملها مع حياتها من خلال عقدتين، الأولى عقدة اليتم والاخرى عقده فقدانها للعذرية لذلك لم تتردد لحظة قبول الزواج من حميدة الرفاف لأنها لم تكن تحلم يوما بأنها ستصبح ربه بيت محترمه بعدما اعتدى عليها صاحب الفيلا لقد كانت مريم ترى في زواجها في زواجها من حميدة حلا لكل مشاكلها، وطريقها لتحقيق

[1] محمد مفلاح، الكافية والوشّام، ص 13، 26، 113.

[2] المصدر نفسه، ص 19، 20.

[3] المصدر نفسه، ص 40.

أمومتها التي كانت تتشبث بها كثيرا، فمريم ليست لديها أحلام كثيره لأن حلمها الوحيد انجاب ولد، يقول السارد: أملها الوحيد أن تلد ولد تطلق عليه اسم والدها سليمان[1] وهو حلم مرتبط بأيديولوجية الحب والوفاء عند مريم تجاه والدها من جهة، وأيديولوجية تقديس الأمومة من جهة أخرى، وتظهر الرواية مدى تعلق مريم بالجنين إنها تدرك إن الحياة صعبة ويلزمها الكثير لكي تؤمن حياتها لكنها تتمسك به وتفكر في ايذاء زوجها إذا أرغمها على الاجهاض على الرغم من تعلقها به وفرحها بزواجها، لأن هذا الزواج سيمنحها البيت والاستقرار والأطفال وكل الاشياء الجميلة التي حرمت منها في الماضي، لقد بعث ذلك الجنين الأمل في قلب مريم في امكانية تغيير قلبي زوجها نحوها، فلربما هذا الولد سيقوي العلاقة بينهما وبالرغم من ادراك مريم أن زوجها تحقق ما يطمح فيه، انها لا يهمها إلا راحته، يقول السارد: فرحت مريم كثيرا وظننت أن زوجها قد حقق ما يطمح فيه، إنها لا زوجة وفيه مطيعة لزوجها فليس لديها شيء أهم من حميدة تخشي عليه المرض، إنها تريد زوجها وتخاف أن يطلقها بل وتغار عليه من فتيحة.[2]

المطلب الثاني وظائف الشخصية في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح:

لقد اسند الخارجية في رواية (الكافية والوشّام) مجموعة من الوظائف لشخصياته ساعدت كثيرا في الكشف عن ايديولوجيتها في بناء السرد، وهي وظائف بعضها انفردت فيها أدت شخصيات وبعضها انفرادات به شخصية واحدة ومن الوظائف الأساسية داخل الرواية.

أ-**وظيفة الانتقام:** وهي وظيفة اسندها السارد لمعظم الشخصيات المتفاوتة في حدة وأسباب انتقامها، فقد اعتمدها السارد كركيزة أساسية لاستمرار الأحداث لأن انتهائها في السرد يعني انتهاء الرواية، وهو ما حصل عندما مارست كل الشخصيات تلك الوظيفة،

[1] المصدر نفسه، ص41 – 42 – 52 – 125.

[2] المصدر نفسه، ص 41.

حيث انتهت الرواية على تطهير ذاتي من رواسب ذلك الانتقام إلا شخصيتي محمد الراشدي وحميدة رفاف اللذان أصرا على تلك الوظيفة (الانتقام).

لقد ارتفعت حمى الانتقام في الرواية، وقد ساعدت في ارتقائها عدة حوافز، لعل أهمها الحب والكراهية والحقد، وإذا اشتركت الشخصيات في الحوافز، فإنها اختلفت في حدتها وفي طريقة التعبير عنها، فعمر الشخصية وجنسيتها وبيئتها ووظيفتها... عوامل تساعد على فهم دوافع تلك الوظيفة.

فانتقام الشاب الفاشل الفقير يختلف عن انتقام الشاب العامل الناجح... وانتقام الرجل المسؤول ذو المكانة المرموقة يختلف عن انتقام الموظف البسيط، وانتقام المرأة يختلف عن انتقام الرجل.

لقد أبدع محمد مفلاح في رسم دائرة الانتقام بين ثلاث شخصيات رئيسية في الرواية، وهو ما عكس على البناء المترابط فيها وساهم في ابراز الصراع بينهما، هذه الشخصيات هي حميدة الرفاف، وفتيحة والوشام، وأحمد معاليش، وهي شخصيات كانت متفرقة، لكن السارد استطاع أن يجمع بينهما بشبكة علاقات ساهمت كثيرا في خلق هذه الوظيفة وظيفة الانتقام.

ب- وظيفة الاستغلال: أسند السارد وظيفة الاستغلال ثلاث شخصيات داخل الرواية هم أحمد معاليش حميدة الرفاف ومحمد الراشدي إلا أن طريقة الاستغلال ودرجة حدة تختلف من شخصية إلى أخرى ولعل أخطر وجوه الاستغلال ما أنجزه أحمد معاليش في حق مريم السموري حينما استغل فقرها وخوفها من أخيها فقام باغتصابها[1] أما حميدة فقد كان يشتغل يستغل الفرصة فلا يترك فرصه واحدة تمر دون أن يقتصها إلى أن أصبح مهوسا بطموح القاتل لقد استغل فرصة اشتياق احتياج فتيحة له حتى يتقرب أكثر من أحمد معاليش وأصدقائه من أصحاب النفوذ واستغل الصراع الذي كان بين أحمد ومقداد للحصول على

[1] ينظر المصدر السابق، ص 27 79

ترقية في منصب رئيس فرع الصيانة حيث قدم لأحمد معاليش خطة للقضاء على مقداد كما استغل أيضا علاقته الوطيدة بفتيحة وثيقة أحمد معاليش المطلقة فيه لسرقة الملفات التي تدين مدير الكافية والجلوس مركزه وما يلاحظ على وظيفة الاستغلال عند حميدة أنها لم تكون وليدة صدفة بل هي متجذرة فيه قبل أن يلتقي فتيحة وبعد أن قال استغلال فرصتها من اللحظه الاولى كما يقول سعيد لم يتردد في خوض غمارها.

ج- وظيفة الاغواء: لقد اسند سارد الخارجي وظيفة القامة إلى شخصيتين تقلدت منصب مدير الكافية وهم أحمد معاليش وحميدة الرفاف قد مارس هذه الوظيفة مع مقداد السويدي حيث شعر إلى عزله عن النقابة وطرده من العمل حتى لا يقوم بالإضراب ولا يحرم عليه العمال في الكافية فأما أحمد قد مارس هذه الوظيفة مع مقداد السويدي حيث شعر بالعزلة عن النقابة وطلبه من العمل لا يقوم بالإضراب ولا يحرض عليه العمال في الكافية.[1]

[1] أحمد المرشد البنية والدلالة، ص 75.

الفصل الثاني:

تجليات التراث في رواية الكافية والوشّام

المبحث الأول: تمثل التراث التاريخي والشعبي في رواية الكافية والوشّام

المطلب الأول: التراث التاريخي (ما بعد الاستقلال)

المطلب الثاني: التراث الشعبي

تعد الرواية طاقة هامة في التعبير عن أزمات المجتمع وطموحه لأنها تشكل الوعاء الأنسب لاحتواء المجتمع ببنيتها وجماليتها ومن منطلق أن الرواية جنس أدبي يتسع لقطاع عرضي للحياة بكل ما تحمله من هموم فكرية واهتمامات إيديولوجية.[1]

أصبحت وظيفة الأدبية ووظيفة اجتماعية تكمن في متابعة مظاهر التطور المادي والاجتماعي الذي نمت فيه.

ومعنى هذا الأديب ليس مجرد مما يطرحه لنا الأديب بل يكمن في كيفية تقديم لنا بدرجة من الوعي الفرد الاجتماعي وبوصف خيبته كفرد من المجتمع الى ما قال اليه مصير الشعب وحقيقه الواقع المتجلي وبما أن الرواية كأبنية زمنية لغوية متجللة تقدم رؤية خاصة للعالم بالتاريخ كعلم يمتاز بموضوعيته واعتماده على مناهج مضبوطة ومما يؤكدها هذا الارتباط هو اندراج أي نص أدبي في سياق مجتمعي تاريخي يشترط ويحضر ظهوره لذلك نجد الرواية في تعاملها مع الخطاب التاريخي تتخذ عدة أشكال وأنواع مختلفة منها ما حاول بحث حقيقة تاريخية في أمانة ودقة ولم يتجاوز في أمانة ولم يتجاوز هنا الاطار المحدد واهتم في المقام الاول بالطابع المحلي ومنها ما بعث التاريخ للماضي لكي يجري عملية اسقاط على الحاضر وتغييره ومنها من طلق من الواقع التاريخي وحوله إلى خيال معرف.

وفي هذا المقام نجد محمد مفلاح كغيره من الروائيين الجزائريين قد ولد الصلة بين الماضي والحاضر وحقق اللقاء من خلال ذلك التفاعل التاريخي العجيب الذي لا يتم الا من خلاله وأمد الرواية بكل ما هو جيد وطريق وأغنى التراث بثمرات عقله وأضاف إليه كل مبتكرة.

فقد تمثل التاريخ في عمله الروائي، عده فترات ذاق فيها الشعب الجزائري امتحانا كبيرا ويمكن أن نذكرها على التوالي حسب تسلسلها الزمني وأول فترات هذه الدراسة هي المحطة الأولى من تاريخ الجزائر:

[1] بن جمعه بوشوشة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي طبعة 1، المغاربية للنشر والاشهار، تونس، 1999، ص 56.

المطلب الأول: فترة إلا ما بعد الاستقلال:

يقول الروائي: "وبعد هذه الروايات تتشكل رباعية الحبل الأخضر التفت إلى الواقع الصاخب الذي عرفته الجزائر في الثمانينات..."[1] ما نلمسه هنا في ظاهرة الالتزام التي تطغى على أعمال مفلاح الروائية هو مهنتهم متابع للقضية الجزائرية، كونه لم يكتفي فقط بأسماء صوت الثورة إلى جميع الناس وما آل تكتبه فرنسا في حق أبناء هذا الشعب من جرائم بشعة في حق الإنسانية فهذا هو يستمر في طرح قضيه الجزائر حتى بعد الاستقلال شانه في ذلك شان الطبيب الذي يحرص على مراقبه دائمه لمريضه حتى بعد العلاج وعلى هذا الاساس جاءت رواية الكافية والوشّام التي ترتبط بجزء منها وهو فتره ما بعد الاستقلال حيث نجدها تتحدث عن ذلك التصادم بين الأزمنة الوجودية وبين الهموم والطموحات الإنسانية التي شهدها المجتمع الجزائري في تلك الفترة.

ما يمكن ملاحظته أن رواية الكافية والوشّام بوحداته، شخصياتها (أحمد معاليش، حميدة الرفاف، فتيحة الوشّام، محمد الراشدي)، الزمان 5 أكتوبر 1985 وما بعده المكان غليزان (الجزائر)، كلها روافد تصب في نهر واحد وهو البحث عن التغيير الذي كان يحلم به الجزائري وينتظر حصوله بعد الاستقلال، هذا التغيير الذي يلبس أثواب عديدة اجتماعية، اقتصادية، ثقافية... ولكنه في الحقيقة مجرد صراع سياسي وإن كان يبدو ظاهريا أنه غير ذلك، ويقول الدكتور عبد الله الركيبي: "أن الصراع الذي يبدو على السطح اليوم هو صراع في الأساس على الحكم والسلطة ليس أثوابا ملونة".[2]

وهذا ما يجسده أحمد معاليش مدير مؤسسة الكافية الذي جعله الروائي يعيش في صراع نفسي وهو ما تعكسها أشكال المونولوج للشخصية فتارة يطرح إشكالية ليس لها علاقه بأحمد معاليش فقط بل يعتبر معاليش قناة أراد من خلالها الروائي ايصال أكبر قدر من

[1] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعمالها، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1955، ص198.

[2] محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص 252.

المعلومات عن أوضاع الجزائر في تلك الحقبة فتراه يقول: "أن البلاد في أزمة ... كما أنه تحدث مع المسيرين والنقابيين لمعرفة أوضاع البلاد آنذاك، وسمع كلمات لم تكن متداولة، القطيعة، المحاسبة، التعددية، التغيير ثم التغيير وسمع كلمات لم يكن التغيير ثم التغيير الشامل.."[1]

إن توظيف الكاتب لهذه المعلومات على لسان إحدى الشخصيات الروائية الهامة أحمد معاليش وهو توظيف مناسب جدا لواقع الحال على أساس ان المتكلم هو شخصيه تعيش في قلب الحدث مما عزز قيمه المعلومات التاريخية الواردة في السرد الروائي.

ليس هذا ما فقط ما نلاحظه بل أنت بل أننا نجد مفلاح حاول انتهاز الفرصة ليعبر عن رأيه وذلك من خلال طرحه لجملة من الأسئلة التي لا ينتظر إجاباتها لأن الأمور واضحة بل هو فقط يحاول اقحام المتلقي وجعله يحس بالدوامة التي كان كانت تعيشها الجزائر آنذاك فنجده يقول على لسان أحد شخصياته الروائية: "... ما معنى التغيير؟ كيف سيكون؟ وفي أي اتجاه؟ هل يتم إبعاد الرجال الذين قدموا الكثير للوطن بحجة التغيير الجذري؟ ومن يحدث هذا التغيير؟ إنه خانق وما معنى الاصلاحات والاجراءات الجديدة التي كان يرددها المتدخلون بحماس؟ ما هي الرأسمالية التي كنا نضنها في الماضي أم هي شيء آخر؟ وما هو هذا الشيء الآخر؟ ..."[2]

لقد أمطرنا الروائي بوابل من الأسئلة ليحيطنا علما بكل ما كان يدور في الساحة آنذاك ومن ذلك أيضا نجده يصور الحالة النفسية التي عاشها أحمد معاليش كمدير لمؤسسة عمومية في تلك الفترة التي بدأت تشهد تراجعا وانهزام الاشتراكية فيصفها قائلا: "ومن يحدث هذا التغيير إنه خائف حقا، التزم الصمت خوفا من اتهامه بالانحياز، نتمنى أن يصفق لكنه كان خائفا من كل شخص غريب بل كان حائرا في موقفه من هذه الإصلاحات..."[3]

[1] محمد مفلاح، رواية الكافية والوشّام، ص 62.

[2] محمد مفلاح، رواية الكافية والوشّام، ص 62.

[3] المصدر نفسه، ص 64.

إن الخوف هو أهم مصيبة مميزة شخصية أحمد معاليش في تلك الفترة التي يقرر الاستعداد والحذر من كل الرجال الذين استهوتهم السياسة وألاعيبها، إن أهم ما يميز هذه الفترة هو الحديث عن فكرة التغيير التي اختارت من الجانب الاقتصادي من خلال الصراع القائم بين تيار هما الاشتراك والرأسمالي لكن الحقيقة من وجهة نظر المحليين هي غير ذلك إذ يظهر العامل الاقتصادي هو المحرك الأساسي نحو عملية التعبير الشامل فإن العامل السياسي كان له حظ من المسؤولية عند الكثير من المحللين وفي نظر المحلل الفرنسي فإن التسيير الوضيع ونظام الحزب الواحد وسيطرة الحبيب كل هذه العوامل شجعت الصعود التيار الاسلامي الذي أسقط البلاد في حرب أهلية رغم التعددية المعلن عنها في 1989".[1]

نظرا لكل ما سبق ذكره فإنه كان لزاما على معاليش أن يتخذ من الحياء السياسي حيلة تحميه من كل تهم الموجهة إليه.

ثم نجد الروائي يتحدث مطولا عن أزمة البلاد آنذاك وعليه إن تتجلى الأزمة السياسية وتجلياتها في الأزمة الاقتصادية وذلك ما خلق أزمة اجتماعية على جميع الأصعدة. وهذا ما ألزم الروائي مفلاح العودة إلى ماضي بعض الشخصيات عبر ما يعرف بتقنيه الاسترجاع إعادة تأويل بعض المواقف تماشيا مع الأحداث مما ختم الروائي وساعده على إمدادنا بأكبر قدم قدر من المعلومات عن تلك الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر علما أن الكتابة في تلك الفترة الثمانينات كانت مهتمة صعبة والبلاد آنذاك لم تعد فقط لم تعاني فقط من أزمات على الصعيد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي بل وحتى الثقافي حين وجد المثقف نفسه في وضعية حرية حيث قال عمر بن قينه مثلث الانتكاسة السياسية ثم الثقافية والفكرية والأدبية وفي ثلاث أيام انكماش ثقافي أسسه بالغيبوبة.[2]

[1] محمد مفلاح، المصدر السابق ص 64.

[2] عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا قضايا وإعلام، ص 41.

المطلب الثاني: التراث الشعبي في رواية الكافية

أولا الأمثال الشعبية:

نالت الأمثال الشعبية نصيبها الوافر من الاهتمام إذ نجد أن الكثير من الأدباء الجزائريين وضحوها في شتى فنون الأدب خاصة منها ولكن بشكل مختلف ويمكن الاختلاف في طبيعة تصويره وتوظيفه هذا العنصر من التراث وكل أديب تصوراته الفكرية وتوجهاته ومواقفه وطريقته في الكتابة.

ثانيا: الأمثال الاجتماعية:

1- "حتى يزيد وسميه سعيد"[1] وهو مثل يراد من وراءه الحث على التريث والصبر وعدم التسرع وتبلغ الأمور وانتظار حدوثها في الوقت المقدر لها والتعبير عن ذلك وإيصال المغزى المراد كان الانجاب في هذا المثل الصورة الاوضح لتبليغ المقصود إذ أنه لا يمكن تسمية المولود إلا ولد يعرف جنسه أذكر ذكر أم أنثى ليعطي له الاسم المناسب

2- "ولية مقطوعة من شجرة"[2] هذا المتناص يبقى مجرد تعبير عن حالة تذمر يكثر تداوله عند النساء اللواتي يتدبرن شؤونهن بأنفسهن بسبب غياب الزوج أو الأهل فينتج لدى المرأة شعور بالوحدة والحاجة القصوى إلى الدعم والسند.

[1] محمد مفلاح، الكافية والوشام، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، طبعة 1، 2002 ص 48.

[2] المصدر نفسه، ص 50.

خاتمة

خاتمة

كانت الرواية الجزائرية عبر مسيرتها، ومراحل تطورها كانت تسعى نحو الرقي والتجديد وتهذيب في الابداع وهذا ما لاحظناه على النماذج الروائية من خلال الاستغلال الموروث الشعبي واستثمار جمالياته الإبداعية وتوظيفه في النصوص الروائية بمعنى استلام التراث الشعبي وتوظيفه بشكل عصري حداثي في الخطاب الروائي وعليه نجد أن تطلعات مفلاح واستلهامه للتراث قد تمخضت عنه النتائج التي ندرجها فيما يلي:

- إن حضور التراث في حياة الأمة عموما هو ما يؤكد الوجود الفعلي والحضاري والرمزي لتلك الأمة لأن "أمة بلا تراث هي أمة بلا جذور بلا مستقبل".
- إن توظيف التراث الشعبي في الرواية جاء للعديد من الأهداف السياسية والاجتماعية التي يراها الروائيين الجزائريين على تحقيقها من خلال استلهام التراث الشعبي واتخاذ القناع للتعبير عن قضاياهم السياسية والاجتماعية وهو ما ساعدهم على تعميق تجاربهم الروائية واعطائها مدلولات رمزية واسعة بالإضافة إلى مستوى جمالياتها.

حيث شكل التراث في أعمال محمد مفلاح على شكل لحمة واحدة تؤهل وتؤسس للهوية العربية.

وفي الختام فاني أحمد الله وآمل أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة واستطعت تقديمها بسورة واضحة ومقبولة فإن تحقق لي ذلك فبفضل الله.

قائمة

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. مها حسين قصراوي، الزمن في الرواية العربية.

2. أحمد المرشد البنية والدلالة.

3. بن جمعه بوشوشة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي طبعة 1، المغاربية للنشر والاشهار، تونس، 1999.

4. عمر أحمد مختار، اللغة واللون، الطبعة 2، عالم الكتب، القاهرة، 2010.

5. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا قضايا وإعلام.

6. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعمالها، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1955.

7. عند أحمد المختار اللغة واللون الطبعة 2، عالم الكتب، القاهرة، 2016، ص210.

8. مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، العدد الثالث، المجلد الثامن، 2015.

9. محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي.

10. محمد مفلاح، الكافية والوشام، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، طبعة 1، 2002.

11. محمد مفلاح، رواية الكافية والوشّام.

12. مراد عبد الرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية العربية المعاصرة.

13. ينظر ابراهيم محمود خليل، الفاظ ودلالاتها عند العرب مجلة الدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 3، الجامعة الأردنية، عمان، 2016.

14. ينظر محمد عبد الحسين هويدي، دلالة البنية الزمنية في رواية فرانكشتاين في بغداد، 447 هجري، 527 هجري، رواية نقدية.

الملخص:

لقد تطرقنا في بحثنا هذا على تجليات التراث في رواية الكافية والوشّام لمحمد مفلاح، حيث كانت الرواية الجزائرية عبر مسيرتها، ومراحل تطورها كانت تسعى نحو الرقي والتجديد وتهذيب في الابداع وهذا ما لاحظناه على النماذج الروائية من خلال الاستغلال الموروث الشعبي واستثمار جمالياته الإبداعية وتوظيفه في النصوص الروائية بمعنى استلام التراث الشعبي وتوظيفه بشكل عصري حداثي في الخطاب الروائي وعليه نجد أن تطلعات مفلاح واستلهامه للتراث قد تمخضت عنه النتائج التي ندرجها فيما يلي:

إن حضور التراث في حياة الأمة عموما هو ما يؤكد الوجود الفعلي والحضاري والرمزي لتلك الأمة لأن "أمة بلا تراث هي أمة بلا جذور بلا مستقبل

الكلمات المفتاحية:

التراث، الكافية والوشّام

Abstract :

In our research, we have touched on the manifestations of heritage in the novel Al-Kafia Wal-Washam by Muhammad Mufleh, where the Algerian novel throughout its journey and stages of development was striving towards advancement, renewal and refinement in creativity. In the sense of receiving folklore and employing it in a modern, modern way in the narrative discourse, we find that Muflah's aspirations and inspiration for heritage have resulted in the results that we list below:

The presence of heritage in the life of the nation in general is what confirms the actual, civilized and symbolic existence of that nation, because "a nation without heritage is a nation without roots without a future."

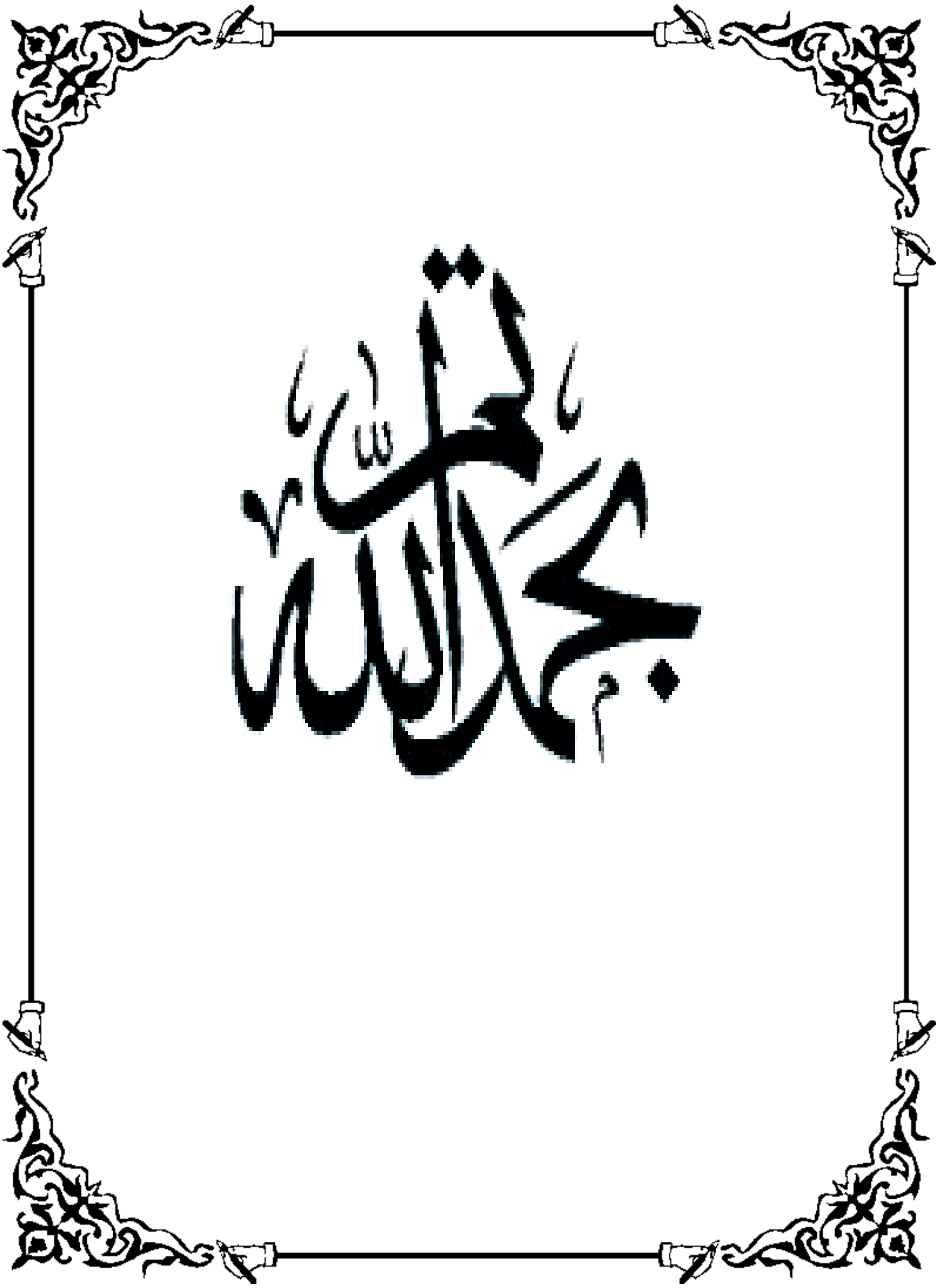
بحمد الله